الاستراتيجية الإرهابية لحزب العمال الكردستاني PKK في "حرب المدن"

إبراهيم آيدن

أخذت منظمة الـ PKK الإرهابية نتائج "الربيع العربي" في عين الاعتبار، من أجل نقل تجاربها من سوريا وتنفيذها في تركيا، وتبنت مفهوم "حرب الشعب الثورية" كاستراتيجية جديدة تتطلب نموذجاً تنظيمياً جديداً وأساليب عمل جديدة في المدن.

أقامت منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية منذ تأسيسها صلة وثيقة بين بقائها واستخدامها للعنف والقوة، مما جعل هذه المنظمة متخصصة في مجال العنف وتحديد أبعاده، وقد طورت الPKK قدرتها على التمويه عن العنف الذي تمارسه بخطاب مناسب لروح كل فترة زمنية، بقدر ما تطورت ممارساتها العنيفة. لقد تأسست المنظمة الإرهابية في فترة الحرب الباردة التي شاعت فيها الحركات الاشتراكية والاستقلالية والانفصالية. وتبنت النموذج الروسي "اليسار الثوري" في طريقة التنظيم، ونموذج "استراتيجية الحرب الشعبية طويلة الأمد" المستوحى من الثورة الصينية كأسلوب نضال. وأعلنت المنظمة أهداف الانفصال والاستقلال بكل وضوح، وأنها ستخوض كفاحا مسلحا لتحقيق هذه الأهداف.

عندما وصلنا إلى مرحة التسعينات التي انتهت فيها فترة الحرب الباردة، أضافت

المنظمة إلى أهدافها الأولية التنظيم السياسي القانوني و"الفعاليات الحضرية" ، وذلك مع ظهور أدوات القوة الناعمة التي تتمحور في أوروبا مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني. وفي بداية سنوات القرن العشرين التي تزامنت مع اعتقال زعيم المنظمة الإرهابية عبد الله أوجلان، فقد نموذج بناء الدولة تأثيره بين حركات الاستقلال، ولهذا السبب أعلنت المنظمة الإرهابية أنها تبنت نظرية الجمهورية الديمقراطية بدلا من هدف إقامة دولة مستقلة وتبنت سياسة ديمقراطية بدلا من الكفاح المسلح. أما في السنوات القليلة الماضية، فقد أخذت منظمة الـ PKK الإرهابية نتائج "الربيع العربي" في عين الاعتبار، من أجل نقل تجاربها من سوريا وتنفيذها في تركيا، وتبنت مفهوم "حرب الشعب الثورية" كاستراتيجية جديدة تتطلب نموذجاً تنظيمياً جديداً وأساليب عمل جديدة في المدن.

استراتيجية الحرب الشعبية الثورية

تشمل الأنشطة المسلحة لمنظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية في الأساس، فترتين رئيسيتين. الفترة الأولى هي فترة "استراتيجية الحرب الشعبية طويلة المدى" التي اعتمدتها المنظمة كأساس منذ تأسيسها حتى اعتقال أوجلان وهي الفترة بين عامي 1978-2000, أما الفترة الثانية فهي فترة "استراتيجية الدفاع المشروع", التي اتخذتها كأساس بعد إلقاء القبض على أوجلان, أي منذ عام 2000. في الحقيقة، وعلى الرغم من الاختلافات بين الفترتين من ناحية المفهوم، إلّا أن استراتيجية الحرب الشعبية طويلة المدى واستراتيجية الدفاع المشروع هي استراتيجيتان تسيران إلى نفس الهدف بنفس الوسائل. وأدوات كلا النموذجين هي الهياكل المسلحة والجماهير الشعبية التي تعمل بالتنسيق مع هذا الهياكل المسلحة، وأهدافها فصل المنطقة التي تشهد الصراع عن سيطرة الدولة.

استراتيجية الدفاع المشروع هي استراتيجية تهدف إلى تحقيق حرب شعبية ثورية من خلال استخدام خطابات حقوق الإنسان والنضال السياسي الديمقراطي واستخدام المدنيين كدروع، ويتم تنفيذها في مجالين رئيسيين وفق المصادر التنظيمية. المجال الأول هو ما يسمى بـ"التمردات الديمقراطية للشعب" أو "الثورات المدنية الجماهيرية"، والثاني هو ما يسمى بحرب العصابات.

وتضم الإجراءات الشعبية الديمقراطية، الاجتماعات والاعتصامات والاحتجاجات والإضرابات والتجمعات والمسيرات والمظاهرات والسيطرة على أماكن، دون التقديم للحصول على إذن جماعي من السلطات لإقامة هذه الفعاليات. كما يشمل أنواعا عديدة من الأعمال تصل إلى الصراعات المسلحة وغير المسلحة.

الحرب الشعبية الثورية هي مفهوم يتم فيه توسيع هذه الأعمال الشعبية الجماهيرية إلى جميع المجالات والعمل على استدامتها، وشن المنظمات المسلحة هجمات واسعة وفعالة على مراكز مهمة تابعة للدولة، وتطوير ما يسمى بالحرب الشعبية المعتمدة على الريف من خلال التركيز على العواصم والمدن الكبيرة. وتهدف المنظمة الإرهابية في نهاية هذه المرحلة إلى طرد قوات الدولة من المنطقة أو إجبار الدولة على حل يتماشى مع مطالب المنظمة. وبذلك، هناك مخطط لتحقيق "نظام اتحاد مجتمعات كردستان" المتوخى على أساس إدارته الذاتية.

موقع نظام اتحاد مجتمعات كردستان في استراتيجية منظمة PKK

فيما يلي توضيح حول نظام اتحاد مجتمعات كردستان المذكور أعلاه وعلاقته بتحركات PKK في المدن. وفق "اتفاقية اتحاد مجتمعات كردستان" التي أقرتها منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية في عام 2005، فإن المخطط له هو تأسيس نظام بنموذج الحكم الذاتي في المناطق والمحافظات والمدن والبلدات والأحياء ومختلف التجمعات السكانيةالتي يطلق عليها "مجتمعات كردستان"، والتي تقع داخل أراضي تركيا والعراق وسوريا وإيران. والمنظمة نفسها تهدف إلى إدارة هذه المجتمعات والمؤسسات في الدول الأربع من مركز واحد بصفتها الهيكل الأعلى لاتحاد مجتمعات كردستان.

وبحسب اتفاقية اتحاد مجتمعات كردستان، هناك تصور لخمسة "مجالات مركزية" منفصلة داخل إدارات مناطق الحكم الذاتي المذكورة، ستعمل تحت ما يسمى بسقف "الكونفدرالية الديمقراطية"وهي المجالات الأيديولوجية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والدفاعية، وهناك خطة بشأن المجالات المركزية الأربعة الأولى، وهي إنشاء هيكل بديل للنظام العام في الحياة اليومية للشعب، من أجل ضمان تطرف الناس وإبعادهم عن الدولة، والعمل على ضمان تهيئة ثورات مسلحة ضد الأنظمة القائمة تقوم بها هذه الوحدات المتطرفة بصفتها "مركز مجال الدفاع المشروع"، وبذلك تكتمل جميع الشروط اللازمة للحرب الشعبية الثورية.

جميع هذه الفعاليات المتعلقة بفرع تركيا بدأت في التنفيذ مع تأسيس نظام اتحاد مجتمعات كردستان في العام 2007, والتي جاءت في اتفاقية اتحاد مجتمعات كردستان, تم تنسيقها من قبل حزب "الشعوب الديمقراطية" الذي تم تأسيسه في تركيا على أنه منظمة مجتمع مدني. وشارك حزب "الشعوب الديمقراطية"في تأسيس وتنفيذ ممثليات المناطق ومجالس الأحياء والقرى ومجالس النساء والشباب من أجل إنشاء ما يسمى بمناطق الحكم الذاتي الديمقراطي في تركيا, المنصوص عليها في اتفاقية اتحاد مجتمعات كردستان. بالإضافة إلى ذلك, فإن الأنشطة التي تنظمها المؤسسات التابعة للمنظمة من أجل تنظيم الناس عبر توجيه من منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابي, استهدفت تهيئة الظروف المناسبة لـ "الحرب الشعبية الثورية". لكن بعد فشل هذه الأنشطة جراء عمليات القوات الأمنية التركية, قررت المنظمة اعتبارا من عام 2010 بدء "الحرب الشعبية الثورية" من أجل إنشاء مناطق حكم ذاتي.

تداعيات الحرب الأهلية السورية على العمليات الإرهابية

أرسلت المنظمة الإرهابية عناصرها المتمرسين إلى سوريا مع بداية الحرب الأهلية هناك في تلك الفترة، وأعلنت فيما بعد ما يسمى بـ "وقف إطلاق النار" في تركيا في 21 آذار/ مارس 2013, لكنها لم توقف فعالياتها الإرهابية, وشكّلت هيكلا جديد مكونا من الشباب باسم "التيار الوطني الثوري الشبابي", وواصلت فعالياتها الانفصالية في المدن. وسعت المنظمة الإرهابية اعتبارا من مطلع العام 2015 لنقل تجربة حروب المدن التي اكتسبتها في سوريا إلى تركيا, وقامت بنشر العنف في المدن عن طريق التيار الوطني الثوري الشبابي من خلال عمليات التفتيش في الطرق وطلب الهوية, وما يسمى بتوفير النظام العام والأنشطة القضائية, كما قامت

أيضا بحفر الخنادق في مراكز المدن ونصب الحواجز وزرع المتفجرات اليدوية، واستولت على البيوت والمحال التجارية للمواطنين وحرقت المستوصفات الصحية والمستشفيات والمدارس وأماكن العبادة ووقفت حائلا أمام العمل في المباني الحكومية الأخرى. وأخيرا، اغتالت منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية شرطيين أثناء نومهما في منطقة جيلان بينار في محافظة شانلي أورفه في 22 تموز/ يوليو 2015، وبذلك بدأت مرحلة ما يسمى "الحرب الشعبية الثورية"، وحاولت بعدها إعلان الحكم الذاتي في العديد من المحافظات والبلدات والأحياء.

وبعد كسر شوكة المنظمة في جميع الأماكن مع "عمليات تأمين المناطق السكنية" التي نفذتها قوات الأمن ضد الأنشطة الإرهابية المذكورة أعلاه، ومن أجل مواصلة العمل الإرهابي بشكل أكثر تنظيما واحترافية، شكّلت المنظمة هيكلا جديدا تحت اسم "وحدات الدفاع المدني" يمثل نواته الإرهابيون الذين اكتسبوا خبرة كبيرة في الحرب الأهلية السورية، وألحقت به عناصر التيار الوطني الثوري الشبابي والعناصر التم تم تدريبها بشكل خاص لهذه المهمة.

إن الهدف من تشكيل وحدات الدفاع المدني هو تنظيم المجتمع، وفصله عن الدولة، وإبعاده عن النظام وإيصاله إلى مرحلة يؤسس فيها نظامه الخاص، أي بعبارة أخرى، تهيئة البيئة المناسبة لما يسمى "الحرب الشعبية الثورية". المحاولة الكبيرة الأولى لما يسمى "الحرب الشعبية الثورية" التي تهدف منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية لتحقيقها في المنطقة، كانت في محافظة شيرناق في آب/ أغسطس 1992. فبحسب تعليمات من أوجلان, جرت محاولات تمرد في البداية في بلدات جيزرة وسيلوبي ونصيبين إضافة إلى مركز محافظة شيرناق, ثم تم إحضار الإرهابيين من الريف إلى وسط مدينة شيرناق على شكل مجموعات صغيرة, من أجل تهيئة الظروف المناسبة لهم, وبذلك حاولت مجموعة إرهابية مكونة من 600 عنصر السيطرة على المدينة من خلال ما يعرف بالانتفاضة الشعبية تحت اسم "تمرد".

ولو صرفنا النظر عن محاولات إعلان شمديلي وأماكن أخرى مناطق محررة، فإن محاولة انتفاضات المدن الثانية الكبير كانت في الفترة بين عامي 2015-2016 بقيادة التيار الوطني الثوري الشبابي، عندما وقعت أعمال إرهابية وحفر الخنادق وغيره من الفعاليات، وتم إعلان الحكم الذاتي في العديد من مراكز المحافظات والمدن. يفهم من هذه التطورات أن منظمة حزب العمال الكردستاني ستواصل إصرارها على محاولات حروب المدن. الواضح هنا، أن المنظمة التي جرّبت محاولات انتفاضات المدن في البداية بالذات من خلال "الإرهابيين في الأرياف"، ثم من خلال "التيار القومي الثوري الشبابي" الذي أعده الإرهابيون في الريف، ستستمر في محاولاتها لانتفاضات المدن عبر وحدات الدفاع المدني الذي يعتبر هيكلاً مدنيا بالكامل.

السبب الرئيسي في إصرار المنظمة على التوجه نحو المدن، هو أنه على الرغم من أن المناطق الريفية أكثر أمانا للتنظيمات المسلحة وأن هناك عدد كافٍ من السكان في الريف، فإن عدد السكان في المناطق الريفية يتناقص تدريجيا والأنشطة المسلحة هناك أصبحت محدودة. بالإضافة إلى ذلك، فإن حقيقة توفير دعم ولو قليل في المدن مع مرور الوقت، وأن الدولة التي يتم استهدافها والتخطيط لتدميرها، لها سيادة ومؤسسات بشكل أساسي في المدن، وهذه أسباب رئيسية للتأثير في المنظمة في هذا الاتجاه. وبحسب تصريحات المسؤولين في المنظمة، فإن أي كفاح لا ينعكس على المدينة ولا يتحول إلى حرب مدن، لا يمكنه الوصول للنجاح. ان الأوضاع في سوريا، وهل ستكون مستقرة أو تتحول إلى وضع آخر، وإقرار المنظمة الإرهابية نقل عناصرها من سوريا إلى تركيا، والتطورات الجارية في تركيا، جميعها أمور ستحدد وقت المحاولات الجديدة للمنظمة الإرهابية في المدن. وفي النتيجة، فإن الدراسات الجادة حول الصراعات في المدن، بهدف مساعدة الدولة للتغلب بتكاليف منخفضة على المحاولات الجديدة التي يمكن أن تقوم بها المنظمة الإرهابية، والتدابير التي يجب اتخاذها في هذا السياق، اكتسبت أهمية بالغة للغاية. ■

إبراهيم آيدن: لواء سابق في الجيش التركي، له دراسات في مجالات مكافحة الإرهاب والشؤون الأمنية-العسكرية والاستراتيجية، مستشار رئيس مركز أورسام.